التحريض) يلعب دورا اساسيا خصوصا في فترات البدء (ونحن ما زلنا فيها) . انه فكر مبني على عدم الاكتفاء بتفسير الواقع ، ولكن بتغييره ايضا ، وهو فكر عبر عن نفسه بالكفاح المسلح الذي هو ارقى اشكال النضال ، ويبدو من الغريب ان يتهم فكر المقاومة بالتبشيرية في حين انه ولد مضرجا بالدم(٥).

الان ، يستطيع الدكتور البيطار ، منطلقا من هنا ، ان يكشف التناقضات التي وقع فيها هذا الفكر ، تصوراته ، معانداته ، اخطاءه في التنظير وفي الممارسة ، طلعاته الحماسية ، والى آخر ما هنالك من مشاكل وقعت وتقع وستظل تقع ، ولكن ليس من حقه الغائه بشطحة فيلسوف حالم . ان الانتقال من مرحلة الى مرحلة أخرى لا يمكن ان يتم بسهولة ، واذا كانت كل مرحلة جديدة انما تولد من رحم مرحلة سابقة ، فمعنى ذلك ايضا انها تحمل معها عند ولادتها الكثير من اثار المرحلة التي هي في طور الانهيار ، والكثير من بصماتها . ان عملية التخلص من ذلك كله تحتاج الى وقت ، والى جهد ، وخصوصا الى صبر ثوري لا يفقد توازنه عند اولى الانتكاسات .

ان فكر المقاومة لم يولد منذ ٦ سنوات كما يقول الدكتور البيطار ، ولكن قبل ذلك بكثير ، وهو آخذ في التبلور ، نظرية وممارسة ، منذ بدأ ذلك الارتطام الكبير مع موجة الامبريالية الكاسحة . اذا كانت حرائق الفالوجة قد حركت بذور الرفض ، فحرائق بلعا ووادي التفاح (١٩٣٦) كانت قد فعلت الشيء نفسه ، وهكذا فعلت الصبحة (١٩٥٤) وبورسعيد وغزة (١٩٥٦) والسموع (١٩٦٦). اننا نمشي ، والفكر الستاتيكي الذي للدكتور البيطار هو اهانة لمسيرة الجماهير هذه . حرائق ١٩٦٧ ، كرامة ١٩٦٨ ، ايلول ١٩٧٠ ، ذلك كله صفحات جديدة في فكر المقاومة ، ان الدخول الى مراحل جديدة وحاسمة لا يمكن اجتراحه بالسحر ، ولا يخضع لنفاد صبر ، وقلة حيلة ، وعصبية المثقفين البورجوازيين الصغار .

وهكذا نحن نقول : ان هذا الصدام التاريخي بين الصهيونية وبين حركة التحرر الوطني العربية لم تعد مسألة حسابية هينة يمكن حلها عن طريق الجهر بشعارات من طراز « الوحدة من المحيط الى الخليج » و« كل الطبقات » والى آخر ما هنالك من قناني الافيون . لقد تبين لنا بأكوام من الجثث وببراهين يمكن قياسها بالاميال المربعة التي احتلها العدو هنا وهناك ان هذا الصدام بين اسرائيل والصهيونية والامبريالية والرجعية العربية متحالفين متكاتفين من جهة ، وبين حركة التحرر الوطني العربية ، من جهة اخرى ، هو صدام لا يمكن حسمه بالمعادلات التقليدية ، بل لا بد من استنفار القوى التي تستطيع دحره . ان الجيوش النظامية العربية لن تستطيع حل هذا التناقض (وبالمناسبة: هي ايضا لا تستطيع تحقيق الوحدة العربية) ، وذلك ليس لانها غير مقاتلة ، وليس لانها غير مخلصة ، ولكن لان ميزان القوى ، السياسي والتكنولوجي ، ليس في مصلحتها على المدى المرئي.

مرة أخرى : ما العمل ؟ نحن نقول : حرب الشعب . وهنا تجيء نقطة الدكتور البيطار الثانية. يفهم الدكتور البيطار عبارة حرب التحرير الشعبية فهما طوبوغرافيا قاصرا ، وهو يصرف صفحات طويلة لاثبات بديهية يعرفها الطلبة الثانويون : ان ظروف الفيتنام هي غير ظروف فلسطين ! اين سمع الدكتور البيطار عكس ذلك ؟ ان فيتنام ، بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ، هي نموذج آخر من النماذج التاريخية لقدرة شعب صغير ، مسلح التنظيم والوعي ، على الحاق الهزيمة بأكبر قوة ضاربة عرفها التاريخ . ان التجربة الفيتنامية هي درس لا يصلح للنسخ . وقد قالت المقاومة ذلك ألف مرة (مرة من اليمين ومرة من اليسار ، ولاهداف متعاكسة) ، ولم يكن من اللائق ان يوصي الدكتور لقرائه بأن الخلاف بينه وبين المقاومة هو حول نسخ او عدم نسخ التجربة الفيتنامية !

سأسمح لنفسي ان اتهم الدكتور البيطار ، ههنا ، بالتزوير : انه يناقش ويماحك حول نقاط غير حقيقية : ١ ــ انه يتحدث طوال الوقت عن «حرب تحرير شعبية » في فلسطين ، بينما يتحدث يسار المقاومة عن حرب تحرير شعبية طويلة المدى ، عربية . ٢ ــ انه يتحدث عن حرب تحرير شعبية بديلة للجيوش النظامية ، بينما يتحدث يسار المقاومة عن حرب شعبية طويلة الامد تخلق او تحول الجيوش الكلاسيكية المحكومة بالبيروقراطية

---

٥ ــ طالما ان الدكتور يعظ كثيرا بضرورة الموضوعية ، فلا بأس اذن لو قرأ في التجربة الفيتنامية مبدأ « الدعاية المسلحة » كي يصبح حديثه عن « التبشيرية » علميا .